

النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي

خلال القرن 6هـ/12م

**Commercial activity between the Central Maghreb
and the Western Sudan countries
During the 6th century AH/12AD**

د/ مرزاق بومداح¹

المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة (الجزائر)، merrzzakk@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022-4-17 تاريخ القبول: 2022-04-24 تاريخ النشر: 2022-05-01

ملخص:

ازدهر النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي خلال القرن 6هـ/12م. وساهمت عدة عوامل في هذا الازدهار كالموقع الجغرافي، وانتشار الدين الإسلامي، وانتشار المراكز التجارية، ووجود عدة محطات لاستراحة التجار والمسافرين، وتوفر الأدلاء والرعاة. وقد تنوعت المبادلات التجارية بين الطرفين، ومن أهم السلع التي كانت تُصدر من المغرب الأوسط إلى بلاد السودان الغربي نذكر: الحبوب والزيتون والمواد المصنعة كأدوات الطهي والسكاكين والأسلحة بمختلف أنواعها، والمنسوجات القطنية والصوفية والحريية، وبعض المعادن كالنحاس والملح، بالإضافة إلى بعض الحيوانات كالخيول والبغال، وعند الحديث عن واردات المغرب الأوسط من السودان الغربي نجد: الذهب وريش النعام، والعبيد. كلمات مفتاحية: المغرب الأوسط؛ السودان الغربي؛ النشاط التجاري؛ الصادرات؛ الواردات.

Abstract:

Commercial activity flourished between the countries of the Central Maghreb and the countries of Western Sudan during the

6th century AH/12 AD, and several factors contributed to this prosperity, such as the geographical location, the spread of the Islamic religion, the spread of commercial centers, the presence of rest stops for merchants, and the availability of guides and shepherds. Commercial exchanges varied between the countries of the Central Maghreb and Western Sudan, and among the most important commodities that were exported from the Central Maghreb to the countries of Western Sudan are: grains, olives, and manufactured materials such as cooking utensils, knives, and weapons of various kinds, in addition to cotton, wool, and silk textiles, and some metals such as copper and salt, in addition to Some animals, such as horses and mules, and when talking about Central Maghreb's imports from Western Sudan, we find: gold, ostrich feathers, and slaves.

Keywords: Central Maghreb; Western Sudan; Commercial activities; Exports; Imports.

***المؤلف المرسل: د/مرزاق بومداح**

1. مقدمة

إن تاريخ العلاقات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي عريق جدا يمتد إلى العصور القديمة، ليعرف ازدهارا وأكثر نشاطا في فترة العصور الوسيطة. وسيكون موضوع دراستنا عن النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط خلال القرن 6هـ/12م أي خلال الفترة التي كان فيها بلاد المغرب الأوسط خاضعا لحكم الحماديين، والمرابطين، ثم دولة الموحدين.

والإشكالية المطروحة هي على النحو التالي:

فيما تتمثل أبرز العوامل التي ساهمت في تنشيط التبادل التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي؟ وما هي أهم الطرق التجارية التي كانت تربط

النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي خلال القرن 6هـ/12م
بين المنطقتين؟ وكيف ساهمت المبادلات التجارية في تحقيق التكامل الاقتصادي
وفي تعزيز العلاقات السياسية والثقافية بين الطرفين؟

2. جغرافية بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي:

قبل التطرق لأهم العوامل التي ساهمت في تنشيط التبادل التجاري بين بلاد
المغرب الأوسط ودول السودان الغربي لا بد من الحديث ولو بصورة موجزة عن
جغرافية بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي.

1.2 جغرافية بلاد المغرب الأوسط:

ظهر مصطلح بلاد المغرب في عهد الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله
عنه أي قبل منتصف القرن الأول الهجري، وهذا ما أشار إليه ابن الأثير في تاريخه (ابن
الأثير، 1997م، ج 2، ص 689)، ويبدو أنه استعمل هذا المصطلح في تلك الفترة
للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي الذي كان يشمل بلاد مصر وما يجاورها،
وبلاد الشام وما يجاوره من المناطق الأخرى، وأما بلاد المشرق الإسلامي فكان آنذاك
يشمل بلاد ما وراء النهر وخراسان وفارس والعراق، وأما مصطلح بلاد المغرب الذي
كان يُستعمل للدلالة على شمال إفريقيا فالراجح أنه لم يستخدم هذا التعبير قبل
القرن 3هـ/9م (لقبال، 1981، ص ص 14-15).

وقسم المؤرخون المسلمون بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام: المغرب الأدنى
أو إفريقية وقاعدته القيروان ثم تونس، وتم إطلاق لفظ أدنى لقربه من بلاد العرب
ودار الخلافة بالحجاز، ومصطلح المغرب الأوسط وقاعدته تلمسان أو جزائر بني
مزغنة... وسي بالمغرب الأوسط لوقوعه بين المغرب الأدنى والأقصى، ومصطلح
المغرب الأقصى وسي بالأقصى لبعده عن دار الخلافة، ووقوعه في أقصى ببلاد
المغرب. (الناصري، د. ت. ط، ج 1، ص 127).

الدكتور: مرزاق يومداح

وعند حديث ابن خلدون عن جغرافية بلاد المغرب الأوسط يذكر لنا أنه جزء من الإقليم الثالث حيث يحده غربا نهر ملوية، ويضم تلمسان وسواحلها على البحر الرومي من بلد هنين ووهران وجزائر بني مزغنة ثم يتصل ببجاية شرقا ويضم بلد أشير وبلد المسيلة، ثم بلاد الزاب وقاعدته بسكرة تجت جبل الأوراس المتصل بדרن وتبسة والأربس، وعلى ساحل البحر الرومي نجد مدينة بونة (عنابة). ويحده شرقا بلاد إفريقية أو بلاد المغرب الأدنى، أما الحدود الجنوبية للمغرب الأوسط فحده العرق الكبير، وهو سياج على المغرب من الجهة الجنوبية، ويعترض العرق أرض محجرة تسمى عند العرب الحمادة، وتمتد إلى بلاد ريغ والمناطق الجنوبية للمغرب الأوسط هي تيكورارين وتساييت، ويمتد غربا إلى بلاد بودة وتمنطيت، وتمتد حدوده الجنوبية شرقا إلى أن تصل إلى غدامس وفزان وودان. (ابن خلدون، 1981، ج 6، ص ص 131-132).

2.2 جغرافية بلاد السودان الغربي:

كان العرب أول من أطلق لفظ السودان على الشعوب والقبائل التي استوطنت منطقة جنوب الصحراء الكبرى، وسموا بلادهم باسم "بلاد السودان" وتم إطلاق لفظ السودان نسبة إلى لون بشرة السكان السوداء، والتي تقابلها شمالا بشرة السكان البيضاء أو كما أطلق عليهم ابن حوقل بلد البيضان وهم سكان بلاد البربر، وعلى رأي الحسن الوزان فإن الأفارقة ينقسمون إلى قسمين: الأفارقة السود والأفارقة البيض، وذكر أن الأفارقة البيض خمسة شعوب وهم: صنهاجة، مصمودة، زناتة، هوارة، غمارة. (ابن حوقل، 1938، ج 1، ص 105) (الوزان، ج 1، ص 36).

وحدد لنا ابن حوقل (ت. بعد 367هـ/978م) الحدود الجغرافية لبلاد السودان الغربي في جنوب الأرض في أقصى المغرب على البحر المحيط، وذكر بأنه بلد ملتف، وأن له حدا ينتهي إلى البر، وحدا ينتهي إلى البحر المحيط (ابن حوقل، 1938، ج 1، ص 16)، وأما الاصطخري (ت. 346هـ/957م) فذكر لنا أن بلاد السودان بلاد عريضة إلا أنها قفرة، وتمتد بلادهم إلى قرب البحر المحيط مما يلي الجنوب، ومما يلي الشمال

النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي خلال القرن 6هـ/12م

على مفازة ينتهي إلى مفاز بلاد مصر، ثم على مفاز بينها وبين أرض النوبة، وعلى مفاز بينه وبين بلاد الزنج، وتنقطع بين السودان وغير من الدول الاتصالات إلا على ما كان عن طريق البلاد المغربية (الاصطخري، د. ت. ط، ص ص 34-35). ووصف لنا الإدريسي (ت. 560هـ/1165م) بلاد السودان بأنها أراضي صحراوية قليلة السكان، والمياه قليلة لا توجد إلا في الجبال أو في السبخات (الإدريسي، 1409هـ، ج 1، ص 109). وأما القزويني (ت. 682هـ/1283م) فحدد لنا بلاد السودان بأنها أرض واسعة يحدها من الشمال بلاد البربر، ومن الجنوب البراري، ومن الشرق أرض الحبشة، ومن الغرب البحر المحيط (المحيط الأطلسي)، ويمتاز مناخه بالحرارة الشديدة. (القزويني، د. ت. ط، ص 34).

من خلال ما ذكره المؤرخون والجغرافيون المسلمون نلاحظ أنهم لم يحددوا لنا الموقع الجغرافي لبلاد السودان الغربي بدقة، وإنما ذكروا لنا موقع بلاد السودان ككل، لأن تقسيم بلاد السودان إلى قسم غربي وأوسط وشرقي إنما جاء مع الاحتلال الأوروبي للمنطقة، وذكر لنا الحسن الوزان أهم ممالك بلاد السودان الغربي الواقعة على نهر النيجر ابتداء من الشرق إلى الغرب، وهي: ولاتة، جني، مالي، تنبكتو، كاوو، كوير، أغدس، كانو، كلاتسينة، زكك، زنفرة، نكرة، بورنو، كاوكا، نوبة، وكان على كل مملكة من الممالك المذكورة ملك مستقل. (الوزان، 1983، ج 1، ص 33).

يمكننا القول أن بلاد السودان الغربي تطل غربا وجنوبا على المحيط الأطلسي، وتحدها الصحراء الكبرى شمالا، ومن الشرق تتاخم بحيرة تشاد، وباختصار تشمل المنطقة التي تعرف اليوم بحوض السنغال وغمبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط. (الدالي، 1999، ص 19).

3. عوامل ازدهار النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي:

ساهمت عدة عوامل في ازدهار النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي، ومن أبرزها نذكر ما يلي:

1.3 انتشار الدين الإسلامي:

إن العلاقات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي تعود إلى عصور قديمة، وقد تعززت هذه العلاقات مع انتشار الإسلام في المنطقتين، وخاصة بعد توغل التجار المسلمين في بلاد السودان الغربي، وما كان يتصف به هؤلاء من أخلاق سامية جاء بها الدين الإسلامي الحنيف، حيث حرّم الإسلام الغش في التجارة، وحرّم الربا وأنواعا من البيوع التي تتضمن الغرر كبيع النجش، وتلقي الركبان، وبيع الرجل على أخيه؛ فالتاجر المسلم القادم من بلاد المغرب الأوسط وما كان يتصف به من صدق وأمانة قد ترك أثارا طيبة على سكان بلاد السودان الغربي مما ساهم في توطيد وتمتين العلاقات التجارية بين المنطقتين. (الجمال وإبراهيم، 1996، ص 85-93).

2.3 الموقع الجغرافي:

ساهم الموقع الجغرافي في تمتين العلاقات بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب الأوسط، حيث لا يفصل بين البلدين بحر أو محيط أو جبال وعرة، وإنما يفصل بينهما الصحراء الكبرى التي أدت منذ العصور القديمة دور الوصل بين شمال إفريقيا وبلاد السودان الغربي، حيث تُظهر لنا النقوش الصخرية الموجودة بالصحراء على أن سكان بلاد المغرب الأوسط كانوا على اتصال بسكان بلاد السودان الغربي منذ العصور القديمة، والتي تُظهر عربات تجرها الخيول، كما تُحدد معالم بعض الطرق التي كانت معروفة آنذاك. (هوارى، 2021، ص 319).

وساهم الجمل كوسيلة نقل في عملية التواصل بين المنطقتين حيث تمكن من جعل الصحراء سهلة المرور والاستغلال (بن عميرة، 1985، ص 28)، وذلك لأن الجمل يمتلك خصائص تتلاءم مع طبيعة الصحراء ومناخها، فهو يكتفي بالشرب مرة

النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي خلال القرن 6هـ/12م

كل أسبوعين في أيام الصيف، وأطول من ذلك في فصل الشتاء، وله القدرة على تخزين المياه لمدة شهر كامل أو أكثر، ويستطيع قطع مسافة 50 كلومتر دون توقف، بالإضافة إلى طول رقبتة التي تحقق له التوازن حتى يتمكن من الحمل الثقيل، وبذلك يكون هناك تناسب بين قوائمه ورقبته، كما أن اتساع المناسم في أرجله سهّل له المشي في التربة الرملية أو الكلسية دون الغوص فيها، بالإضافة إلى ذلك فإن الجمل يستطيع أن يحمل ثقل وجر ضعفي ما يقوم به الثور الواحد، ونظرا لثمته بهذه الصفات جعلته يقوم بدور هام في عملية التواصل التجاري، ويساهم في ازدهار التجارة بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي. (زنيدي، 2002، ص181).

3.3 انتشار المراكز التجارية:

من أهم المراكز التجارية ببلاد المغرب الأوسط نذكر ما يلي: تهرت التي كانت من أهم المراكز التجارية منذ العهد الرستمي، حيث كانت تتم فيها المبادلات التجارية خاصة مع سجلماسة، وبجاية. وورجلان التي كانت سلعتها تنقل إلى بلاد السودان الغربي وونقارة مقابل استيراد التبر الذي كانت تسك منه الدراهم والدنانير، وتوات التي تعتبر حلقة وصل بين بلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي، وعند الحديث عن المراكز التجارية ببلاد السودان الغربي نذكر: ولاتة التي هي حاليا إحدى مدن دولة موريتانيا الحالية التي أصبحت مركزا تجاريا هاما بعد سقوط مملكة غانة وقيام إمبراطورية مالي. وجني التي تقع إلى الجنوب الغربي من تنبكت التي اشتهرت بتجارة الملح والذهب. وتنبكت التي تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف بمنحنى نهر النيجر وقد ساعدها موقعها الجغرافي الهام في أن تؤدي دورا كبيرا في المبادلات التجارية. وجاو التي تقع في الشمال الشرقي من باماكو وقد ساعدها موقعها على منحنى نهر النيجر نحو الجنوب بإشرافها على حركة الملاحة والتجارة على امتداد نهر النيجر؛ فتجمعت في هذه المدينة سلع المنطقة كلها وارتادتها القوافل التجارية. (الدالي، 1999، ص ص294_309).

الدكتور: مرزاق بومداح

وعملت هذه المراكز التجارية على تزويد التجار والمسافرين بكل ما يلزمهم من غذاء وماء، وغالبا ما كان تجار السودان الغربي وتجار المغرب الأوسط يقومون بعرض بضائعهم هناك، حيث تحولت هذه المراكز إلى نقاط ارتكاز للتجارة مع بلاد السودان الغربي، ومحطات لانطلاق القوافل التجارية باتجاهها، واشتغلت أعداد كبيرة من سكان هذه المراكز بالتجارة الداخلية والخارجية، فكان التجار يقومون بمهمة جمع البضائع والسلع من مختلف أنحاء بلاد السودان الغربي وبالتالي عرف التواصل التجاري بين المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي تطورا كبيرا في مختلف المجالات وخاصة في المجال التجاري. (هوارى، 2021، ص ص 325-326).

4.3 وجود محطات لاستراحة المسافرين:

نظرا لبعده المسافة بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب الأوسط فقد أنشأت عدة محطات لاستراحة المسافرين، وقد أدت الآبار دورا كبيرا في تأمين الماء للقوافل التجارية، حيث كانت هناك عدة محطات تستريح فيها الإبل ويلتقي فيها المسافرون والتجار، يراقبون فيها حمولتهم، ويتبادلون أخبار الطريق، ويتعارفون على أسعار المنتجات، وعلى أهم الطرق الآمنة لسير القوافل التجارية، كما كانوا يقومون بأداء الصلوات، ومن أهم الآبار نذكر بئر تنزروفت، وآبار الأزواد ببلاد السودان الغربي. (عباس، 2017، ص 214).

3.5 دور الرعاة والأدلاء في تنشيط التبادل التجاري:

عند الاطلاع على ما ذكره الحسن الوزان فإن مواقيت الرحلات التجارية كانت تتحكم فيها عوامل عدة كسقوط الأمطار ونمو بعض أعشاب الرعي، وهذا أمر يعرفه الرعاة أكثر من غيرهم، وقد ساهم ذلك في أن يتحول هؤلاء الرعاة إلى تجار وأدلاء، مما ساهم ذلك في تنشيط التبادل التجاري بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي، فعمل هؤلاء الرعاة في مساعدة التجار على اقتحام الطرق الصحراوية الصعبة، وفي تحقيق أيضا التواصل اللغوي بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان

النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي خلال القرن 6هـ/12م
الغربي وخاصة إذا علمنا أن اللغة العربية أصبحت في العصر الوسيط هي اللغة التي يتعامل بها أكثر تجار البلدين. (الوزان، 1983، ج1، ص81) (هوارى، 2021، 327-328).

3.6 دور المرابطين والموحدين في تنشيط التبادل التجاري:

عرف بلاد المغرب الأوسط في عهد المرابطين ازدهارا كبيرا للنشاط التجاري عبر الصحراء الكبرى، وهذا الدور قامت به القبائل الصنهاجية التي تمكنت من السيطرة على بعض المراكز التجارية كسجلماسة وأودغشت، والتحكم على منافذ بعض الطرق التجارية، وقد تميزت علاقات بلاد المغرب الأوسط مع بلاد السودان الغربي في العهد المرابطي بالتعاون السياسي والتجاري، حيث رحب ملك غانة بالتجار المسلمين وذلك لسمو أخلاقهم وخبرتهم بالسياسة والإدارة؛ فاستعان بهم في تسيير شؤون الحكم، وقلدهم المناصب العليا في بلاده، وتمكنوا من إنشاء عدة أسواق ومراكز تجارية، وساهموا في بناء المساجد لتأدية الصلوات والشعائر الدينية، فانجذب إليهم عامة الناس الذين كانوا يكونون لهم كل الاحترام والتقدير. وقامت القبائل الصنهاجية في العهد المرابطي بتوفير الأمن والحماية للقوافل التجارية، وحفر الآبار، مقابل فرض الإتاوات والضرائب على التجارة العابرة لتلك الطرق. (خالدي، 2020، ص ص50-51).

وأما في العهد الموحيدي فقد هاجرت بعض القبائل العربية من بني هلال كقبائل الأثيج ورياح وجشم واستقرت على ضفاف نهر السنغال ونهر النيجر، وقامت بطون عرب المعقل الذين أطلق عليهم اسم قبائل الشابات بالاستيلاء على مراكز تجارية هامة في بلاد السودان الغربي، كما قامت أسرة المقرئ التلمسانية بتنشيط التبادل التجاري بين بلاد المغرب الأوسط والسودان الغربي على ما يبدو منذ القرن 6هـ/12م حيث كان لهم وكلاء في مدينة ولاته الخاضعة آنذاك لمملكة غانة. (خالدي، 2020، ص ص52-54).

4. الطرق التجارية بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي:

انتشرت عدة طرق تجارية بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي، حيث ساهمت في تيسير حركة تنقل التجار والقوافل التجارية بين المنطقتين ذهاباً وإياباً، ومن أهم هذه الطرق نذكر ما يلي:

4.1 طريق تلمسان إلى السودان الغربي: ذكر لنا الإدريسي وهو من مؤرخي القرن 6هـ/12م أن القوافل التجارية كانت تتجه من تلمسان إلى فاس ومن فاس إلى صفروى إلى تادلة إلى أغمات إلى بني درعة إلى سجلماسة.. وأما الطريق الثاني فكانت تأخذه القوافل التجارية من مدينة تلمسان إلى قرية تارو ومنها إلى جبل تامديت، ومنها إلى غايات ومنها إلى صدرات ومنها إلى جبل تيوى ومنها إلى فتات بئر في وسط الصحراء ومنها إلى شعب الصفا إلى تندلى ومنها إلى قرية تمسنان ومنها إلى تقرت ومنه إلى سجلماسة. وهذا الطريق على رأي الإدريسي نادر العبور. (الإدريسي، 1409هـ، ج1، ص ص249-250). ومن سجلماسة كانت تسير القوافل التجارية متوجة نحو مالي بداية بواحة ولاتة، ثم إلى تمبكتو أو إلى أدغشت وإلى منطقة الحوض الأوسط لنهر النيجر. (قريان، 2017، ص372).

وكانت كثافة الطرق التجارية بين سجلماسة وتلمسان تدل على أنهما كانتا المركزين الرئيسيين في تجارة السودان الغربي إبان فترة حكم المرابطين، وكانت سجلماسة أهم مدخل لطرق القوافل إلى بلاد السودان وأكثرها شهرة وأهمية، وأما تلمسان فكانت نقطة تفضي إلى إفريقية والمشرق والأندلس وحوض البحر الأبيض المتوسط، حيث دبت الحياة في هذه المدن بفضل ما تمتعت به من مواقع إستراتيجية وتجارية. (الذيب، 2009، ص352)

4.2 طريق وهران وأرزيو إلى تنبكت: يمر هذا الطريق على خيثر ومشيرة وعين الصفراء وفجيج، ويتبع مجرى وادي زوزفانة إلى إيجلي أين يلتقي مع طريق فاس تنبكت، ولهذا الطريق فرع آخر يمر بمدينة توات أين يلتقي مع طريق وهران فاس مكناس، تنبكت (عطلي، 2017، ص249).

النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي خلال القرن 6هـ/12م

4. 3 طريق تهرت إلى السودان الغربي: ينطلق هذا الطريق من تهرت إلى ورجلان وسدراتة ووادي ميزاب ليصل إلى تغازي وأدغشت ووتادمكة في أدرار وإيفوجة وراء جاو. (عطلي، 2017، ص249).

4. 4 طريق توقرت ورجلان إلى جاو: يبدأ هذا الطريق من موانئ بلاد المغرب الأوسط كموانئ سكيكدة وبجاية وجزائر بني مزغنة وشرشال وتنس ليصل إلى توقرت وورجلان (ورقلة)، لينتهي في مدينة جاو الواقعة على نهر النيجر، وهناك طريق فرعي عند مدينة ورجلان الذي يتجه إلى أكدر بإقليم التشاد. (عطلي، 2017، ص249). ويفيدنا روجي إدريس أن وارجلان كانت مرتبطة بموانئ المغرب الأوسط عن طريق المسيلة، وبشرق إفريقية عن طريق قفصة منذ عهد الدولة الرستمية وأن تأسيس مملكة بني حماد منذ أوائل القرن 5هـ/11م والذي استمر إلى سنة 547هـ/1152م لم يقطع هذا الطريق الرابط بين قفصة وورجلان. (روجي إدريس، 1992، ج2، ص291).

4. 5 طريق توات إلى بلاد السودان الغربي: تعد منطقة توات جزء من الصحراء الكبرى وتقع حالياً في الجنوب الغربي بولاية أدرار الجزائرية (رموم، 2016، ص83)، وكانت تمثل مدينة توات حلقة وصل بين بلاد المغرب الإسلامي ومصر وبين بلاد السودان الغربي، ويعد طريق توات إلى تغازة وتاوديني أهم طريق تسلكه القوافل التجارية محملة بمختلف السلع والبضائع، وينتهي هذا الطريق إلى مدينة جاو مروراً بولان، وهناك طريق آخر يسير من تمنطيط ليلتقي مع الطريق السابق في ولان (عطلي، 2017، ص249). وقد أشار ابن خلدون إلى أهمية هذا الطريق وذكر أنه محط ركاب التجار المتوجهين من المغرب إلى مالي أو القادمين من مالي إلى المغرب (ابن خلدون، ج7، ص77).

5. المبادلات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي:

تنوعت المبادلات التجارية من صادرات وواردات بين بلاد المغرب الأوسط وبلاد السودان الغربي، ومن أهمها نذكر ما يلي:

5.1 صادرات المغرب الأوسط نحو بلاد السودان الغربي: من أهم صادرات المغرب الأوسط نحو بلاد السودان الغربي:

5.1.1 المواد الغذائية: كان يصدر المغرب الأوسط إلى بلاد السودان الغربي المواد الزراعية وعلى رأسها الحبوب كالقمح والشعير، حيث أن الظروف الطبيعية من تضاريس ومناخ المغرب الأوسط ساعدت على أن يتوفر على إنتاج وفير من الحبوب على عكس بلاد السودان الغربي، إضافة إلى بعض الفواكه كالتين المجفف الذي كان يكثر استهلاكه في بلاد السودان الغربي، ويشتهر عليه الطلب من بلاد المغرب الأوسط، والزبيب (مبخوت، 2006، ص324). كما كان يتم تصدير الخضر الجافة، والزيتون، والشحوم، والزبدة، والتين المجفف الذي كانت له قيمة خاصة، بالإضافة إلى التمر القادم من واحات ورجلان وتوات وتوقرت وبسكرة، وبعض الصادرات كالسكر والصنوبر والصمغ. حيث يقوم التجار بجمعه من مختلف أسواق بلاد المغرب الأوسط ليتم تصديره نحو بلاد السودان الغربي، (الدالي، 1999، ص331)

5.1.2 المواد المصنعة: من أهمها الأسلحة والأقواس والدروع والسهام والخوذات، وأدوات حديدية أخرى كأدوات الطهي كالقدور، وذات استعمالات أخرى كالسكاكين والأسلاك النحاسية، وكانت هذه المواد تأتي من جمهورية البندقية وبعض دول أوروبا الغربية فتفرغ حملتها بموانئ المغرب الأوسط ومنها إلى بلاد السودان الغربي (عطلي، 2017، ص255).

كما صدر المغرب الأوسط المنسوجات القطنية والصوفية، وكانت الأقمشة تُجلب من بلاد المغرب الأوسط ومن أوروبا عبر موانئ المغرب، حيث كان تجار البندقية وجنوة يتوافدون على بلاد المغرب الأوسط فيبيعون سلعهم هناك، وكان من أهمها الأقمشة التي كان جزء هام منها يصدر إلى بلاد السودان الغربي. وكانت الأقمشة التي تصدر على نوعين منها التي تصنع بتلمسان، كالمنسوجات الصوفية، ويحاك منها البرنس، والزربية، والكساء، ونسيج القطن، حتى أصبح معظم لباس سكان بلاد

النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي خلال القرن 6هـ/12م

السودان الغربي في عهد الأسقيين من الأقمشة القطنية. وكانت العطور تشكل نسبة هامة من صادرات المغرب الأوسط نحو بلاد السودان الغربي حيث كان يقبل عليها السكان لشراؤها بأثمان باهضة، وحقق التجار من جراء ذلك أرباحا كبيرة، وكانت ترد هذه العطور من أوروبا إلى السودان الغربي عن طريق المغرب الأوسط وخاصة من مدينة تلمسان التي كانت بدورها تنتج أنواعا جيدة من العطور (مبخوت، 2006، ص 325-327).

5.1.3 المعادن: من أهم المعادن التي كانت تصدر إلى بلاد السودان الغربي نذكر ما يلي:

-**النحاس:** ساهم تجار المغرب الأوسط في توفير هذا المعدن وتزويد الحرفيين الذين كانوا يشتغلون بتصنيع النحاس، وكان معدن النحاس يمر عبر واحات توات لتصل إلى أسواق السودان الغربي، وقد ذكر لنا ابن بطوطة أنهم كانوا يصنعون من النحاس قضباناً في طول شبر ونصف، بعضها رقاق وبعضها غلاظ، فتباع الغلاظ منها بحساب أربع مائة قضيب، وتباع الرقاق بحساب ستمائة وسبع مائة مثقال. (ابن بطوطة، 1417هـ، ج 4، ص 275). (مبخوت، 2006، ص 227).

-**الملح:** كان الملح من المواد الأساسية التي كانت تُصدر إلى بلاد السودان الغربي لأنه يندر وجوده في تلك المناطق، وكان يتوفر بكميات كبيرة ببلاد المغرب الأوسط، وهو على أنواع فمنه الأبيض والرمادي والأحمر، وكان يساوي الرطل منه نصف مثقال (الوزان، 1983، ج 2، ص 280). ونظرا لندرة الملح في بلاد السودان الغربي فقد كانت تتم مقايضته بالذهب كما ذكر لنا ذلك صاحب كتاب الاستبصار وهو من مؤرخي القرن 6هـ/12م. (مجهول، 1986، ص 219).

5.1.4 الخيول والبغال: عرفت تجارة البغال رواجاً كبيراً في أسواق بلاد السودان الغربي، وذلك لقوتها وقدرتها على الكر والفر في الحروب، واختص بشراؤها الملوك وحاشيتهم، ونظرا لقسوة المناخ وارتفاع درجة الحرارة في بلاد السودان الغربي كان من

الصعب تربية الخيول في تلك المناطق، لذلك كان يتم استيرادها بأعداد كبيرة من بلاد المغرب الأوسط، وكانت أسعارها باهظة الثمن. وحكرا على الطبقة الغنية. (القلقشندي، 1987، ج5، ص276) (عطلي، 2017، ص255).

5.2 واردات المغرب الأوسط من بلاد السودان الغربي: من أهم واردات المغرب الأوسط من بلاد السودان الغربي نذكر ما يلي:

5.2.1 الذهب: يُعتبر الذهب من أهم المعادن التي كان يتم تصديرها نحو بلاد المغرب الأوسط. وكان يوجد بكميات كبيرة في بلاد السودان الغربي، وخاصة في أعالي نهر النيجر، وفي بلدة وقارة وفي بمبوك في الجنوب الغربي من باماكو، وسيكا سو وبرسني وكرونوف وغيارو وغانة وأودغشت وغيرها من المناطق. (الدالي، 1999، ص282-283). وقد وصف لنا صاحب كتاب الاستبصار بأن معدن الذهب في بلاد السودان الغربي ترابه أحمر وطريقة استخراج كطريقة استخراج معادن الحديد والنحاس والفضة. (مجهول، 1986م، ج1، ص219)

وكان الذهب يُجلب إلى بلاد المغرب الأوسط على شكل سبائك أو قطعاً نقدية أو تبراً، وقد عرض تجار المغرب الأوسط أنفسهم للخطر عندما كانوا يقطعون الصحراء الكبرى ولمسافات بعيدة في ظل وجود قطاع الطرق في بعض الأحيان، مع ندرة المياه وارتفاع درجات الحرارة، وهذا كله من أجل اقتناء أكبر الكميات من الذهب الذي كان نادر الوجود بأرض المغرب الأوسط خلال تلك الفترة، وكان الذهب يُنقل على ظهر الجمال ثم يقوم التجار ببيعه في أسواق تلمسان وهنين ووهران.

5.2.2 العبيد: كان تجار المغرب الأوسط يجلبون العبيد من أسواق بلاد السودان الغربي، ومن أشهر أسواق النخاسة نذكر سوق مدينة غاو الذي يعتبر من أكبر أسواق تجارة العبيد، وكان العبيد يتم استخدامهم في النشاط الصناعي، وفي استخراج الملح والنحاس، وتشغيلهم في النشاط الزراعي حيث كانوا يحتاجون إلى الأيدي العاملة، بالإضافة إلى ذلك كان العبيد يعملون على نقل بضائع التجار وحراسة القوافل

النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي خلال القرن 6هـ/12م

التجارية، ويؤخذون للعمل في القصور لدى العائلات الغنية، وفي حراسة بعض السلاطين حيث نذكر على سبيل المثال كان في جيش المرابطين فرقة عسكرية من الحرس الأسود كانت تستخدم للحراسة وفي خوض الحروب والمعارك.(مبخوت، 2006، ص 331-332). واشتهرت مدينة وارجلان (ورقلة) بتجارة العبيد حيث ذكر لنا ابن سعيد أن هذه المدينة من أهم المراكز المتخصصة في تجارة العبيد. ومن مدينة وارجلان كان يتم إرسال العبيد إلى مختلف أنحاء بلاد المغرب الأوسط وإفريقية. (ابن سعيد، 1970، ص 126).

5.2.3 العاج: العاج على حسب ما ذكره الرازي (ت. 666هـ/ 1267م) فإن العاج هو عظم الفيل الواحدة أي نابه، ويقال لصاحب العاج عَوَاجٌ بالتشديد. (الرازي، 1999، ص 220). وقد دخلت تجارة العاج إلى بلاد المغرب الأوسط عبر تجار بلاد السودان الغربي، وكانت تُصدر منه كميات كبيرة حيث جعلت سكان بلاد المغرب الأوسط يصنعون منه أواني للشرب، ويزينون به الخيل. (عطلي، 2017، ص 254). وأما عن الحكم الشرعي في استعمال العاج وبيعه والانتفاع به فيذكر وهبة الزحيلي أن المشهور منع بيع العاج مطلقاً. وأجاز ابن وهب ذلك البيع، فمن رأى أن عاج الفيل ناب جعله كالميتة، ومن رأى أنه قرن معكوس جعل حكمه حكم القرن. (الزحيلي، د. ت. ط، ج 5، ص 356).

5.2.4 ريش وبيض النعام: كان لريش النعام رواج كبير في بلاد المغرب الأوسط حيث كان يستخدم في حشو الأرائك والمخاد في البيوت والقاعات، كما تتخذ منه مراوح للتهوية أو للزينة، وحقق السودان الغربي من تجارته أرباحاً طائلة (عطلي، 2017، ص 254). (الدالي، 1999، ص 278-279). وأما عن بيض النعام فكان يستخدم محه في تركيب الأدوية، وكان يباع في أسواق المغرب الأوسط بأثمان مرتفعة. (مبخوت، 2006، ص 332).

6. خاتمة

من خلال ما سبق يمكننا القول أن المبادلات التجارية بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي قد عرفت نشاطا تجاريا هاما خلال القرن 6هـ/12م، وقد ساهمت عدة عوامل في ازدهار النشاط التجاري بين الطرفين، وكان للنشاط التجاري المزدهر آنذاك دور كبير في تحقيق التكامل الاقتصادي وفي تمتين العلاقات السياسية والثقافية بين البلدين.

7. قائمة المراجع:

-المصادر-

- 1-ابن الأثير علي، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1417هـ/1997م، ط1.
- 2- الإدريسي محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت-لبنان، عالم الكتب، 1409هـ، ط1.
- 3-الاصطخري إبراهيم بن محمد، المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة-مصر، د.ت. ط.
- 4-الوزان الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983م.
- 5-ابن حوقل محمد، صورة الأرض، دار صادر، بيروت-لبنان، 1938م.
- 6-مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون الثقافية، بغداد-العراق، 1986م.
- 7-الناصرى أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء-المملكة المغربية، د.ت. ط.
- 8-ابن سعيد علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1970م، ط1.

النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي خلال القرن 6هـ/12م

9- القزويني زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت-لبنان، د.ت. ط.

10- القلقشندي أحمد بن علي، الصبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرحه وعلق عليه محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1407هـ/1987م، ط1.

11- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت-لبنان، 1401هـ/1981م، ط1.

-المراجع:

1- الدالي الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة-مصر، 1999م.

2- الزحيلي وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق-سوريا، د.ت. ط، ط4.

3- لقبال موسى، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

3- بن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة-الجزائر، 1985م.

4- روجي إدريس الهادي، الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10-12م، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1992م، ط1.

5- شوقي الجمل وعبد الله إبراهيم، تاريخ المسلمين في إفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، 1996م.

-المقالات:

- 1-هوارى موسى، التواصل بين بلاد المغرب والسودان الغربي، مجلة /المفكر، المجلد 05، العدد 01، 2021م، جامعة الجزائر، ص ص317_338.
 - 2-زنيذ خالد، 2002م، الإبل وأهميتها الحضارية في شبه الجزيرة العربية خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 13، العدد 02، ص ص177-192.
 - 3-عطلي محمد، الدور الحضاري للطرق التجارية بين الشمال الإفريقي والسودان الغربي، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد 06، 2017، ص ص243-264.
 - 4-قريان عبد الجليل، 2017م، الواقع والآثار في العلاقات التجارية بين تلمسان والسودان الغربي خلال العهد الزياني (633-962هـ/1235-1554م)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 13، (ص ص365-398).
 - 5-رموم خالد، توات الجغرافيا والمصطلح من خلال المنوغرافيا المحلية والأجنبية، الحوار الفكري، المجلد 11، العدد 12، 2016، الجزائر، ص ص81-116.
 - 6-خالدي مسعود، 2020، العلاقات التجارية بين دول المغرب الأوسط وممالك السودان الغربي في العصر الوسيط، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 06، العدد 03، ص ص42-60.
- الرسائل:

- 1-بن الذيب عيسى، 1429-1430هـ/2008-2009م، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية 480-540هـ/1056-1145م، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 02، الجزائر.
- 2-مبخوت بودواية، 1426-1427هـ/2005-2006م، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة أبي بكر بكايد، تلمسان-الجزائر.

النشاط التجاري بين بلاد المغرب الأوسط ودول السودان الغربي خلال القرن 6هـ/12م